حول الرسالة المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب(١)

كانت مجلة الدارة قد نشرت في عددها الأول من سنتها السابعة رسالة قيل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أرسلها إلى أهل المغرب؛ مرفقة بها صورة فوتوغرافية لأصلها المحفوظ في الخزانة الملكية في الرباط.

ثم نشرت المجلة في عددها الرابع من سنتها الثامنة تعقيباً لطيفاً للأستاذ محمد بن عبدالله الحمدان مقارناً نص الرسالة المنشورة في الدارة بما ورد لها من نص في كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية(١). وقد أبان الأستاذ الحمدان في مقارنته للنصين ما رآه ضرورياً. وأشار في نهاية ذلك إلى وجود اختلاف طفيف في كلمات أو تركيبات لم يتطرق إليه.

وما قام به الأستاذ الكريم عمل يشكر عليه، لأنه ينمُّ عن اتجاه طيب للتأكد من صحة النصوص. ولعله من المستحسن استكمال ما لم يتطرق إليه في مقارنته بين النصين قبل مناقشة صحة نسبة الرسالة ذاتها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

د. عبدالله الصالح العثيمين

١ ـ ورد في **الدارة** «الحمدلله نستعينه ونستغفره ونعوذ به» وفي **الدرر** «الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله».

٢ ـ ورد في **الدارة** «ونشهد أن لا إله إلا الله... ونشهد أن محمداً عبده ورسوله»،
وفي **الدرر** «وأشهد أن لا إله إلا الله ... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

٣ ـ ورد في **الدارة** «ولا يضر إلا نفسه ولا يضر أحداً».
وفي **الدرر** «ولن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً».

٤ ـ ورد في **الدارة** «وصلى الله على سيدنا محمد».
وفي **الدرر** «وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً».

٥ ـ قال الأستاذ الحمدان عند إشارته إلى إثبات الياء في «ومن اتبعني» الواردة في **الدارة**: «ولعل زيادة الياء من المطبعة». لكن من الواضح أنها ليست زيادة من المطبعة إذ تبدو مثبتة في صورة الرسالة الخطية أيضاً.

٦ ـ ورد في **الدارة** «فأخبر سبحانه وتعالى».
وفي **الدرر** «فأخبر سبحانه».

٧ ـ قال الأستاذ الحمدان: «في السطر ١٦ من نفس الصفحة (٧) ـ **الدارة** ـ وأمرنا بلزوم ما أنزل عليه، وبعد كلمة (أنزل) زيادة عما في **الدرر** هي (إلينا في ربنا) ... الخ.
ومن الواضح أن (في) خطأ مطبعي إذ الأصل (من). ومن الواضح أيضاً أن (عما) زيادة أضيفت نتيجة خطأ مطبعي.

٨ ـ ورد في **الدارة** «قد أخبر أن أمته تأخذ ما أخذت الأمم».
وفي **الدرر** «قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون».

٩ ـ ورد في **الدارة** «في الصحيحين وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال».
وفي **الدرر** «في الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال».

١٠ ـ ورد في **الدارة** «من كان قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».
وفي **الدرر** «من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

١١ ـ ورد في **الدارة** «وإذا علم هذا فمعلوم».

وفي **الدرر** «إذا عرف هذا فمعلوم».

١٢ ـ ورد في تعقيب الأستاذ الحمدان أنه ذكر في **الدارة** «أعظمت الاشراك بالله». ومن الواضح أن هذا خطأ مطبعي؛ إذ الوارد في الرسالة المطبوعة في **الدارة** «أعظمت الإشراك به». وبالإضافة إلى ذلك فإن ما ورد مطبوعا في **الدارة** على أنه «أعظمت» ليس واضحاً في صورة المخطوطة. لكن لا تبدو في أول الكلمة همزة.

١٣ ـ قال الأستاذ الحمدان: إن الكلمة الأخيرة من الصفحة السابعة في **الدارة** (ليقربهم) وفي **الدرر** (ليقربوهم). وما ذكر صحيح. لكن الكلمة في صورة الرسالة الخطية «ليقربوهم» بصيغة الجمع. فهي مطابقة لما ورد في **الدرر**. وإنما أخطأ من نقل الكلمة من صورة الرسالة الخطية.

١٤ ـ ورد في **الدارة** «وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، وقال تعالى: (ويعبدون من دون الله..) الآية.

وفي **الدرر** «وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال: (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار)، وقال تعالى: (ويعبدون من دون الله..) الآية.

١٥ ـ ورد في **الدارة** «ولا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر لله ساجداً».

وفي **الدرر** «لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجداً».

١٦ ـ ورد في **الدارة** «فيقول له ارفع رأسك».

وفي **الدرر** «ثم يقال ارفع رأسك».

١٧ ـ ورد في **الدارة** مطبوعاً «ودرج على مناهجهم». لكن في صورة المخطوطة «ودرج على منهاجهم».

وفي **الدرر** «ودرج على منهجهم».

١٨ ـ ورد في **الدارة** «وما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة».

وفي **الدرر** «وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة».

١٩ - ورد في **الدارة** «ببناء القباب عليها وإسراجها».
وفي **الدرر** «ببناء القباب عليها والسرج».

٢٠ - ورد في **الدارة** «أخبر بوقوعها صلى الله عليه وسلم، وحذر أمته منها».
وفي **الدرر** «أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم، وحذر منها».

٢١ - ورد في **الدارة** «وفي الحديث عنه ... تعبد أقوام من أمتي الأوثان».
وفي **الدرر** «كما في الحديث عنه ... تعبد فئام من أمتي الأوثان».

٢٢ - ورد في **الدارة** «وحمى جانب التوحيد».
وفي **الدرر** «حمى جناب التوحيد».

٢٣ - ورد في **الدارة** «كل طريق موصل إلى الشرك».
وفي **الدرر** «كل طريق يوصل إلى الشرك».

٢٤ - ورد في **الدارة** «ولذا قال».
وفي **الدرر** «ولهذا قال».

٢٥ - ورد في **الدارة** «هدم القباب».
وفي **الدرر** «هدم القبب».

٢٦ - ورد في **الدارة** «وهذا الذي أوجب الاختلاف».
وفي **الدرر** «فهذا هو الذي أوجب الاختلاف».

٢٧ - ورد في **الدارة** «حتى آل الأمر إلى أن قاتلونا وكفرونا»
وفي **الدرر** «حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا».

٢٨ - ورد في **الدارة** «وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم».
وفي **الدرر** «وسنة رسوله».

٢٩ - ورد خطأ مطبعي بزيادة «الواو» قبل كلمة «تعالى» مما ذكره الأستاذ الحمدان في مقارنته رقم ٢٨؛ إذ لم ترد قبلها في الرسالة المطبوعة في **الدارة**.

٣٠ ـ ورد قول الأستاذ الحمدان (رقم ٢٩): في السطر الثاني من الصفحة التاسعة (دعونا بالسيف). ومن الواضح، أيضاً، أنه وقع خطأ مطبعي بحذف الضمير بعد «دعونا»؛ إذ الأصل «دعوناه».

٣١ ـ ورد في **الدارة** «وصوم شهر رمضان».
وفي **الدرر** «وصيام شهر رمضان».

٣٢ ـ ورد في مقارنة الأستاذ الحمدان (رقم ٣١) أن ما هو موجود في **الدرر** «فهذا هو الذي نعتقده». ومن الواضح أنه قد وقع خطأ مطبعي بزيادة الضمير بعد «نعتقده»؛ إذ قد وردت في **الدرر** بدونه.

٣٣ ـ ورد في **الدارة** «وندين لله به».
وفي **الدرر** «وندين الله به».

٣٤ ـ ورد في **الدارة** «المتبعين للسنة».
وفي **الدرر** «المتبعين لسنته».

ومن المعلوم أن الاختلاف بين نسخة وأخرى لعمل واحد كثيراً ما وقع، وكثيراً ما كان سببه النساخ. لكن المهم في الموضوع هنا هو الرسالة ذاتها. أهي من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أم لا؟

كنت قد أثرت هذا التساؤل في بحث ألقي في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود، ونشر في مجلة **الدارة** في عددها الثالث من سنتها السابعة.

ومما ينبغي ملاحظته عدة أمور منها:

أولاً: أن الرسالة التي يقال إن الشيخ محمداً أرسلها إلى المغرب لم ترد ضمن رسائله التي أوردها المؤرخ حسين بن غنام. وكان ذلك المؤرخ مقرباً من الشيخ حريصاً كل الحرص على ذكر ما كان له من نشاط ورسائل وإجابات؛ ولذلك فإنه من المرجح ألا يغفل رسالة مهمة تجاوزت حدود نجد، بل حدود الجزيرة العربية إلى المغرب الأقصى.

ثانياً: أن عبد الرحمن بن قاسم، جامع **الدرر السنية** قال: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسل الرسالة المذكورة إلى أهل المغرب؛ لكنه أورد بعد البسملة مباشرة «الحمدلله ...» الخ دون أن يورد الرسالة مبدوءة بعبارة الشيخ محمد المعتادة في رسائله وهي «من محمد بن عبد الوهاب».

ومن الملاحظ أن ابن قاسم حين أورد الرسالة التي قبل هذه الرسالة والرسالة التي بعدها أوردهما بعد البسملة مبدوءتين بعبارة «من محمد بن عبد الوهاب» مع ذكره قبل اسمي من وجهت إليهما الرسالتان. ومن المستبعد أن يحذف ابن قاسم العبارة من تلقاء نفسه. لكن من المحتمل أنه وجد الرسالة منسوبة للشيخ محمد فأوردها كما وجدها.

ثالثاً: أن الرسالة المحفوظة في الخزانة الملكية بالرباط ليست بخط الشيخ محمد. وقد وقعت فيها أخطاء واضحة مثل «من شر الفسقاء» بدلاً من العبارة المشهورة «من شرور أنفسنا»، و«برسم الشفاعة» بدلاً من «لأجل الشفاعة». وهذا يوحي بأنها لم تكن بخط أحد علماء الدعوة الإصلاحية النجدية أيضاً..

رابعاً: أن التطور التاريخي لمسار دعوة الشيخ محمد والدولة السعودية الأولى يوحي بأنه من المرجح ألا يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى حجاج بيت الله الحرام. ومن المعروف لدى من درس تاريخ الدولة السعودية الأولى أن أنصار الشيخ محمد مُنعوا من الحج خلال حياته باستثناء سنتي ١١٨٣هـ و١١٩٧هـ(٢).

خامساً: أن الرسالة كتبت في فترة انتصر فيها زعماء الدعوة على خصومهم بدليل العبارة الواردة فيها «حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم». وكان استيلاء أولئك الزعماء على مناطق خارج نجد كالأحساء وعسير والحجاز بعد وفاة الشيخ محمد.

سادساً: أن أحمد بن أبي الضياف التونسي ذكر وصول الرسالة إلى تونس زمن الباي حمودة باشا، وأفاد أنها من بين رسائل وجهها زعماء الدعوة إلى الأقطار المختلفة؛ وذلك بعد أن ذكر أن رئاستهم كانت لسعود بن عبد العزيز وأنهم استولوا على الحجاز. وقد أورد ابن أبي

الضياف الرسالة دون أن يذكر كاتبها؛ لكن سياق كلامه يوحي بأنها أرسلت بإشراف الإمام سعود⁽³⁾ . ومن الملاحظ أن الرسالة التي أوردها المؤرخ التونسي لا يختلف نصها عن النص المحفوظ في الخزانة الملكية بالرباط إلا اختلافات أقل من الاختلافات الموجودة بين رسالة الرباط والمطبوعة في **الدرر**.

سابعاً: أن الجبرتي حينما تحدث عن استيلاء سعود بن عبد العزيز على مكة سنة ١٢١٨ هـ ذكر أنه أرسل إلى شيخ الركب المغربي كتاباً ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته. ثم أورد صورتها، وهي نص الرسالة المناقشة هنا.⁽⁴⁾ .

وهكذا يتضح أن الرسالة المنسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تكن له، وأنها كتبت بعد استيلاء آل سعود على الحجاز وذلك بعد وفاة الشيخ بمدة لا تقل عن اثني عشر عاماً.

وكان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب مع سعود بن عبد العزيز حين استولى على مكة سنة ١٢١٨ هـ. وقد كتب الشيخ عبدالله حينذاك رسالة أوضح فيها عقيدة أنصار الدعوة الإصلاحية النجدية⁽⁵⁾ . ولعله هو الذي كتب الرسالة المنسوبة إلى أبيه. ومعلوم أن أفكار علماء الدعوة لا تختلف وأن أساليبهم وبخاصة إذا كتبوا عن العقيدة تتشابه. ولعل الناسخ الذي نسخ رسالة الرباط والذي وقع في أخطاء ذكرت سابقاً قد التبس عليه الأمر فنسب الرسالة التي كتبها الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب إلى أبيه لأنه هو الذي قام بالدعوة.

* * *

الهوامش :

١ – جمع عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية، دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٣٨٥ هـ، ج١ ص ص ٥٦ – ٥٩.

٢ – حسين بن غنام، **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام**، القاهرة، ١٣٦٨ هـ، ج٢ ص ص ٧٩–١١٩ – ١٢٠.

٣ – أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الطبعة الثانية، تونس، ١٩٧٩ م، ج٢ ص ص ٨٢ – ٨٥.

٤ – تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دون ذكر لسنة الطباعة، ج٢ ص ص ٥٨٨ – ٥٩١.

٥ – هذه الرسالة مطبوعة في **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ج١، ص ص ١٢٣ – ١٣٤.